السومريين (أصلهم وموطنهم_ ونظام حكمهم)
"٢٩٠٠ – ٢٣٣٤ ق. م"

د. اعمار عبد القادر المختار الكيلاني*

تاريخ التقديم: ٢٠٢٥/١٠/٠١ تاريخ القبول:١٧ /٢٠٢٥/١٢ تاريخ النشر: ٢٠٢٥/١٢/٣١

المستخلص

تناول هذا البحث فترة هامة من تاريخ الشرق الأدنى القديم، وبالأخص التاريخ القديم بمنطقة بلاد وادي الرافدين قديماً، وعلى وجه الدقة، فترة ظهور السومريين على مسرح الأحداث وهو ما يعرف بالعصر السومري القديم، وتحديداً في جنوب بلاد الرافدين في الفترة ما بين (٢٩٠٠ – ٢٣٣٤ ق .م)، وقد حاولت من خلال هذا البحث طرح مشكلة السومريين، او ما يعرف بالمسألة السومرية من حيث الأصل والموطن، ونظام حكمهم، وذلك من خلال تقسيمات هذا البحث، والتي ظهرت في محاولة إعطاء نبذة تاريخية عن السومريين وأصلهم وموقعهم، نظام حكمهم وتقسيم فترات عصرهم، وأهم مدنهم الأولى والتي أطلق عليها اسم مدن الدويلات، كمحاولة طرح العديد من وجهات النظر المختلفة من قبل المختصين والمهتمين بالشأن السومري في محاولة للوصول إلى رأي يجمع عليه الجميع حول أصل السومريين وموطنهم الأصلي، إلا أننا وفي ضوء ما توفر لنا من مصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع، وبعد الاطلاع على أحدث ما كتب حول موضوع البحث، يتضح أن المسألة لا زالت شائكة ويلفها الغموض، وأن ما طرح حولها لا يرقى إلا أن يكون مجرد وجهات نظر وآراء قد تخطي وقد تصيب، وإن الموضوع لا يزال قيد الدراسة والبحث والتنقيب، ربما يكشف عن شيء جديد حوله في المستقبل القريب، ومهما يكن من أمر السومريين، فإننا نؤكد على أنهم شعب استطاع إرساء دعائم الحضارة في بلاد الرافدين، ويعد السومريين من أهم الشعوب التي ساهمت في تقدم المنطقة والعالم بأسره خاصة فيما يتعلق باختراعهم للكتابة والتي كانت بمثابة الخطوة الأولى، والشمعة التي أنارات طريق البشرية جمعاء.

Study Summary:

This study examines a significant period in the history of the ancient Near East,

*أستاذ مشارك . قسم التاريخ . مدرسة العلوم الإنسانية . الأكاديمية الليبية . ammaar1968@yahoo.com

specifically the ancient history of Mesopotamia and ancient Iraq, and more precisely, the emergence of the Sumerians on the world stage, known as the Old Sumerian period, specifically in southern Iraq between 2900 and 2334 BCE. This study attempts to address the Sumerian question, or what is known as the Sumerian Question, in terms of origin and homeland. It does so through various divisions, including providing a historical overview of the Sumerians, their land, and their location, as well as dividing their era into periods and highlighting their most important early cities, known as city-states. The study also attempts to present different viewpoints from specialists and those interested in Sumerian affairs, striving to reach a consensus on the origin and original homeland of the Sumerians. However, based on the available sources and references, and after reviewing the most recent writings on the subject, the study concludes that the issue remains complex and shrouded in ambiguity, and that what has been presented so far amounts to little more than opinions and perspectives. It may be right or wrong, and the subject is still under study, research and exploration. Perhaps something new will be revealed about it in the near future. Whatever the case may be regarding the Sumerians, the study confirms that they were a people who were able to lay the foundations of civilization in Mesopotamia. The Sumerians are among the most important peoples who contributed to the progress of the region and the world as a whole, especially with regard to their invention of writing, which was the first step, and the candle that illuminated the path of all humanity.

المقدمة:

تاريخ الشرق القديم هو في الواقع تاريخ عدد من الدول التي ظهرت في هذه المنطقة ولعل السومريين من ضمن تلك الشعوب التي ظهرت هناك، ولعل المتتبع للتاريخ القديم وحوادثه يدرك تماماً بأن التاريخ المحدد لبداية المملكة السامية الأكدية هو منتصف القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد إلى حوالي عام ٢٣٣٤ ق. م، وبهذا يكون العصر السومري القديم يقع قبل هذا التاريخ ويمتد حتى بداية التاريخ السومري (٢٩٠٠ – ٢٣٣٤ ق.م) وتشير الأدلة الأثرية إلى أن أقدم الحضارات الهامة في بلاد الرافدين هي الحضارة السومرية والتي يمكن إرجاعها إلى بداية الاستقرار

الفعلي في جنوب بلاد الرافدين إلى حوالي عصر حضارة العبيد (٦٥٠٠ – ٣٨٠٠ ق .م) ويعتبر السومريين من أقدم الشعوب التي أرست دعائم حضارة عريقة وأصيلة في جنوب بلاد الرافدين، كما كان لهم الفضل في العديد من الإنجازات التي قدموها للبشرية في جميع المجالات وفي مقدمتها الكتابة، والتي تعد من أهم الركائز الهامة ومن اللبنات الأولى في صرح الحضارة العربية، لا بل والعالمية، وقد سكن السومريين في المنطقة المسماة باسمهم (بلاد سومر) وهي تقع في جنوب وادي الرافدين وحدها الشمالي هو حوالي مدينة نفر.

لقد انتزعت سومر القيادة الفكرية والحضارية في بلاد الشرق الأدنى وذلك في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد، إلا أننا لا يمكننا الجزم على أن هذا النضج وهذا السبق الحضاري كان بسبب التقدم الفكري لهؤلاء السومريين أو كان بسبب شعب أو أقوام أخرى وفدت إلى المنطقة محدثتاً فيها ذلك التغيير الإيجابي وذلك الإنجاز الحضاري.

إن ما تم تحقيقه من تقدم حضاري على جميع الأصعدة في تلك المنطقة سواء كان في الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الزراعي أو التعليمي يمكن وصفه عن جدارة وباستحقاق بأنه حضارة مزدهرة يمكن أن تؤسس عليها (دولة قوية بإمكانها قيادة المنطقة بأكملها إلى الأمام وفي كل المجالات وعلى جميع الأصعدة.

لقد ظهر السومريين حوالي الألف الرابع قبل الميلاد في بلاد وادي الرافدين حيث شيدوا المنازل من القرميد وقاموا بصناعة الأختام واخترع الكتابة ، كما طوروا أنظمة الري، بالإضافة إلى أنهم قاموا بالمتاجرة مع سكان الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين ونهر الهندوس وذلك من خلال ممارستهم لتجارة الأحجار القاسية مع سكان تلك المناطق.

وتجدر الإشارة إلى أن السومريين كانوا قد تركز وجودهم في عدة مدن سومرية مثل مدينة أريدو، واور، وأروك، ولجش، وآما، وآرب، وشورباك (فارا)، وفي مساحة صغيرة من الأرض وذلك في دلتا دجلة والفرات، أي في بلاد سومر أو ما يعرف في التوراة بسهل شنغار، وبالإمكان تتبع هذا التحول وهذا التطور والإسهام في الدفع بعملية التقدم إلى الأمام من خلال التحول خطوة خطوة في الوثائق الأثرية التي خلفها لنا ذلك الشعب.

يهدف هذا البحث إلى معرفة أصل السومريين وأهم إنجازاتهم الحضارية وهل هم سكان المنطقة الأوائل أو الأصليين أم أنهم وافدون على المنطقة، وكذلك يهدف أيضا إلى تناول الأراء التي

طرحت من قبل المنقبين والمهتمين بعلم السومريات بخصوص أصلهم وموطنهم وهجرتهم؛ وسنحاول من خلال هذا البحث أن نضع الخطوط العريضة لتاريخ شعوب هذه المنطقة والتي بقيت ردحاً من الزمن مجهولة المعالم.

ولكي يصل البحث إلى مبتغاه وهدفه المنشود، كان لزاماً علينا أن نطرح العديد من التساؤلات التي من شأنها أن تساعدنا في الوصول إلى إجابات مرضية ومقنعة حول موضوع هذا البحث، ويمكن أن نطرح هذه التساؤلات على النحو الآتي:

- هل السومريين هم من سكان المنطقة أم أنهم شعوب وفدت على المنطقة.؟
- إذا كان السومريين كانوا قد وفدوا على المنطقة، فما هي الظروف والأسباب التي دعتهم إلى ترك موطنهم الأصلي والمجيّ لبلاد سومر؟
- هل كان في تلك المنطقة التي وصلها السومريين سكان أصليين، وأن كان الأمر كذلك فماذا كان مصيرهم وهل اندمجوا مع الشعب الوافد إليهم أم أنهم أبيدوا بأكملهم.
- هل توصل المهتمين أو نجحوا في الوصول إلى معرفة أصل السومريين وتحديد موطنهم الأصلي.؟

وبناءً عليه وحتى يصل البحث إلى الإجابة على هذه التساؤلات كان لزاماً علينا وللوصول إلى غايتنا وهدفنا أن نتبع المنهج التاريخي الوصفي السردي التحليلي، حتى نجمل الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة والتي سيكون السومريين جزاءً منها وسبباً في صناعتها.

وحتى يكون البحث مستوفي فسنحاول أن يكون محدد في اطارين هما، الإطار أو المجال الزماني، والمجال المكاني. ، أما ما يخص المجال الزماني فهو بداية نشوء المدن السومرية القديمة، وهو الفترة من ٤٥٠٠ – ١٩٠٠ ق .م .، أما المجال المكاني فهو المدن السومرية جنوب العراق أور ، وكيش، أورك، نيبور ، لجش، باعتبارها أهم وأقدم المدن السومرية أو ما يعرف بدويلات المدن.

بناء على ذلك ستكون تقسيمات البحث على النحو التالي:

- المطلب الأول: السومريين، اصولهم وموطنهم.
- المطلب الثاني: مدنهم ونظام حكمهم وتقسيم عصرهم.

المطلب الأول: السومريين اصولهم وموطنهم

يعتبر السومريين من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب بلاد الرافدين وهم من أرسى دعائم وركائز الحضارة الإنسانية في بداياتها وذلك من خلال ما قدموه من إنجازات عظيمة، كان لها الأثر البالغ في مختلف جوانب الحياة البشرية (الأحمد، سامي سعيد، ١٩٩٠، ص٥).

لقد سكن السومريين المنطقة المسماه باسمهم وهي ما يعرف ببلاد سومر، وتقع في جنوب وادي الرافدين، وتعتبر مدينة نفر حدها الشمالي، وقد أوضحت بعض الهياكل العظيمة المكتشفة في المقابر السومرية بأنهم أي السومريين كانوا خليطاً من شعوب البحر المتوسط، وأنهم ليسوا متميزين، وهم من ذوي الرؤوس الطويلة، بل وهناك من يقول بأن الأكديين وهم من الأقوام الجزيرية كانوا قد سكنوا إلى جانب السومريين منذ القدم بحيث لا يمكن تحديد الفترة التي سكنوا فيها بتواريخ أكيدة، وأنه لم يكن هناك فاصلاً طبيعياً بين سومر وأكد، بحيث كان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم "أكد" أما القسم الجنوبي الشرقي فكان يطلق عليه اسم "سومر" أي بمعنى أن كلاً من مدينة لجش وأورك وأور ولارسا وأوما وأسيين وأريدو كانت ضمن الأراضي السومرية، بينما كانت مدينة نيبور تقع بين أكد وسومر وكانت بمثابة مركز ديني للشعبين (سليم، أحمد أمين، ب – ت، ص١٤٧،١٤٦).

ومن هنا لابد من تمهيد أو أعداد فكري حضاري لكل حركة تاريخية ذات مغزى حضاري حتى تأخذ الحركة معناها ومكانها الكاملين في مجرى التاريخ، وهذا التمهيد أو الاعداد الحضاري هو الذي يسمى الوعي الحضاري، وليس من الضروري أن يكون هذا الوعي قائماً في أذهان الجماعة كلها لتتحرك للعمل، بل يكفي أن تكون هناك أقلية قائدة وواعية ، ولأنها واعية أصبحت هي القائدة في تلك المرحلة، والتاريخ لا يعرف حركة ذات معنى حضاري أو أثرت في تقدم الإنسانية كلها إلا نهضت بعبئها هذه المجموعة القليلة الواعية والتي عادةُ ما تسمى بالصفوة، ولعل السومريين في تلك الحقبة أو الفترة الزمنية كانوا هم تلك الأقلية الصفوة التي نهضت بالبشرية جمعاء من خلال ما قدمته من إنجازات كان لها تأثيرها المباشر على جميع الأصعدة (مؤنس، حسين، ١٩٩٨، ص١١٥).

لقد أصبح أصل السومريين يشكل مسألة عصيبة وغامضة يصعب فهمها والتوصل إلى رأي واحد يتفق عليه كل المهتمين بهذا الشأن، والذي أصبح المعنيين بحضارة العراق القديم يطلقون عليه اسم "المشكلة السومرية"، وتجدر الاشارة إلى أن هذه المشكلة والمعروفة بأصل السومريين أصبحت

منذ الثلاثينيات والنقاش محتدم بين المستشرفين من المختصين بالكتابات المسمارية وبين الآثاريين حول هذه المشكلة دون التوصل إلى نتيجة حاسمة تحظى بقبول الأغلبية (علي، فاضل عبد الواحد، ١٩٨٩، ص٢١).

لقد ظهر السومريين حوالي الألف الرابع قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين السفلي، وكانوا يستخدمون النحاس، وكذلك قاموا ببناء منازلهم من القرميد، بالإضافة إلى شهرتهم بصناعة الأختام وكذلك بالكتابة والتي عرفت عبر التاريخ بالكتابة المسمارية نسبة إلى القطعة المدببة التي كانت تكتب بها والتي تشبه في شكلها المسمار (هنري س، عبودي، ١٩٩١، ص٥١٣).

لقد تجمع السومريين في منطقة الجنوب العراقي وشيدوا عدة مدن بين نهري دجلة والفرات، حيث شيدوا كلاً من مدينة أريدو وأور، وأوروك، ولجش، وأما، وأدب، وشور باك "فارا") وكان أمراء هذه المدن يسعون بكل قوة من أجل السيطرة على باقي المدن وبلاد سومر بأسرها والحصول على لقب "لوجال" بمعنى الملك، وفي حال عدم تحقيق هذا اللقب، كان يطلق عليهم لقب "أندي" بمعنى وكيل الإله التابع للمدينة (هنري س عبودي، ١٩٩١، ص٥١٣).

ان اسم سومر من أقدم الأسماء التي أطلقت على جنوبي العراق وهي من أقدم المواقع التاريخية المهمة التي شهدت أقدم حضارة معروفة على مستوى العالم (الرويمض، عبد الغني عمرو، ١٩٩٥، ص١٦٦).

لقد اختلف الباحثون في أصل السومريين، وهل كانوا هم أول من سكن المنطقة، أي منطقة جنوب العراق، أم أن أقوام أخرى سبقتهم إلى سكنها (باقر، طه، ١٩٨٦، ص١١٨)، ولا يزال العلماء مختلفون حول أصل السومريين حتى اليوم، فمنهم من يرى بأنهم نزحوا من أواسط آسيا ليستقروا في غربها، وهناك من يرى بأنهم قدموا من أواسط أوربا (سبيتي، حسين، ١٩٨٦، ص ١٤٢).

ولازال الموطن الأصلي للسومريين يلفه الغموض ولا يمكننا أن نعرف الموطن الأصلي لهم، وكل ما توصل إليه بعض المختصين هو أنهم جاءوا من أرض جبلية في موضع ما بأواسط آسيا، وأنهم كانوا منتشرين في مساحات واسعة من الأرض التي تضاربت حولها الآراء حتى وصلت بهم إلى أنهم ربما جاءوا عن طريق البحر من مناطق أرض الجزيرة (هامرتن، السيرجون، أ ، ب – ت، ص٥٤٠)، وهنا ينبغي أن نوضح الأطار الزمني الذي تواجد فيه السومريين في منطقة غربي

آسيا، حيث سكن السومريين في بداية انطلاقهم من آسيا الوسطى، وذلك في عصر بداية الأسر السومرية والذي يمتد من ٢٨٠٠ – ٢٤٠٠ ق .م، سكنوا في بلاد الرافدين ثم جاءت بعدهم الأسرة الاكادية والتي حكمت البلاد من ٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق.م، واستمر حكمها حتى جاء الحوثيون وهم سكان جبال زاغروس الاشداء الذين قضوا على الحكم الاكادي وحكموا ما بين ٢٢٥٠– ٢١٢٠ ق.م، واستمر الحوثيون في الحكم إلى أن نهضت سومر من جديد فيما يعرف بعصر الاحياء السومري، وكونت أسرة جديدة عرفت بأسرة أور الثالثة وسمى عصرها بالعصر السومري الجديد الذي امتد من ٢١١٣ – ٢٠٠٦ ق.م أي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد (على، فاضل عبد الواحد، ١٩٨٣، ص٦٧ ، ٦٨).

إن موضوع السومريين من حيث أصلهم وانتشارهم، ليس موضوعاً حديث الظهور، بل تناولته العديد من الأقلام وناقشه العديد من العلماء والمختصين في التاريخ القديم وخاصة في مجال السومريات، وأن كل ما تم طرحه خلال ما يزيد عن النصف قرن من هذا النقاش وتلك الأسئلة والآراء والتوقعات لم ينتج عنها سوى جملة من الفرضيات المتباينة وإلى درجة أن بعضاً منها بدأ يثير العديد من الدهشة والاستغراب (على، فاضل عبد الواحد، ١٩٨٩، ص ٢١).

ولا يزال التاريخ على غير بينة أكيدة من جنس السومريين وأصلهم وموطنهم الأصلي الذي وفدوا منه إلى العراق، وللوصول إلى حل لهذه المشكلة اعتمد الباحثون على أساسيين هما الأساس اللغوي والاساس البشري، فمن حيث الأساس اللغوي وجد العلماء أن اللغة السومرية لا تنتمي إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاثة وهي عائلة اللغات السامية، وعائلة اللغات الحامية، وعائلة اللغات الهندية الأوروبية (صالح، عبد العزيز، ١٩٩٧، ص ٤٤٦)، كما تأكد أيضا عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى، كاللغة الصينية، والتيثيه والدرافيدية والمجرية والأفريقية، ولغات جزر المحيط الهادي (الناضوري، رشيد، ١٩٩٧، ص ٢٥٠).

وعندما لم يتمكن العلماء إلى الوصول لأصل السومريين من خلال الأساس اللغوي، اتجهوا للأساس الثاني وهو البحث عن العنصر البشري ربما يجدون أي شبه مادي أو فكري بين العناصر السومرية وبين بعض العناصر الأخرى التي تسكن المنطقة (سبيتي، حسين محمد، ١٩٨٦، ص١٤٢).

وقدم العلماء في هذا الصدد العديد من الآراء والافتراضات التي يمكن أن نوجزها على النحو التالي:

فهناك من المؤرخين ممن يرى بأن السومريين انحدروا من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ وهي العصور التي سبقت عصر فجر السلالات، وأنهم عرفوا باسم السومريين في الأزمنة التاريخية نسبة إلى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه وهو الجزء الجنوبي المسمى باسم "شومر" أو "سومر"، ولعل ما يجعل هذه الفرضية أقرب إلى الصواب، هو كونها أن أسس الحضارة التي سميناها بالحضارة السومرية، والتي ازدهرت في عصر فجر السلالات، يمكن أقتفأوها إلى المراحل الحضارية المسماة بعصر ما قبل الأسرات (باقر، طه، ١٩٧٣، ص٦٠ ، ٦١، أيضا كريمر، صمويل، ١٩٥٧، اللوحات ١٦، ٧١، ٧٨).

وهذا الطرح أو هذا الرأي ربما يقودنا إلى فكرة تعتمد على أساس أن يكون ذلك استمراراً حضارياً، أي بمعنى أن أصول الحضارة السومرية نشأت في العراق ومن الممكن تتبع جذورها وبداياتها في العراق منذ الأزمنة القديمة، وهو ما يجعلنا ندعو أهل حضارة العبيد من السومريين، وذلك استنادا على ما تم اكتشافه من مباني وقرى كانت في أغلبها مشابهة لما تم الكشف عنه في المدن السومرية، بغض النظر عن اللغة التي تكلم بها أهل الحضارتين (الاحمد، سامي سعيد، ١٩٧٨، ص٢٦٦-٢٢٩، أيضاً سليم، أحمد أمين، ب – ت، ص١٤٨، ١٤٩).

ومن خلال التنقيبات التي أجراها علماء الآثار والمهتمين بالمسألة السومرية جنوبي العراق يتضح بأن تاريخ أقدم استيطان في المنطقة كان في الألف الخامس قبل الميلاد، وهي الفترة التي أطلق عليها الباحثون اسم دور العبيد، والذي يعرف الطور الأول منه بطور "إريدو" حيث كان الرأي السائد حتى فترة قريبة بأن السومريين كانوا أول من سكن أرض جنوب العراق وأقاموا بها حضارة ناضجة، ولكن مع تقدم البحث والتنقيب الأثري أصبح هذا الاحتمال ضعيف بحيث أصبح هنالك احتمال على وجود أثار سكني الاستيطان في القسم الجنوبي من العراق في الفترة السابقة لدور العبيد، وربما أصبحت الأنن متواجدة، تحت سطح البحر وهو ما يصعب البث فيه في هذا التوقيت، ولعل التنقيبات المقبلة في قاع الخليج ستكشف لنا عن تلك الآثار (شاكر، محمود، ٢٠٠٨، ص ٣٠، ٣١، أيضاً باقر، طه، ١٩٧٣، ص ٦٢، ٦٣).

وبناءً على هذه الآراء والتوقعات، فقد اتجهت بعض الآراء إلى التفكير بأن السومريين وتحديداً أجدادهم كانوا قد هاجروا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية المجاورة له، وذلك مروراً بأرمينيا وايران ولعل السؤال المطروح هنا والذي يجعل من هذا الافتراض يتهاوى هو أنه

كيف يمر السومريين في رحلتهم هذه بأرمينيا دون المكوث بها، خاصة إذا ما أدركنا بأن أرمينيا تعتبر منطقة خصبة وصالحة للاستيطان البشري وكذلك المناطق القريبة منها في شمال بلاد النهرين (صالح، عبد العزيز، ١٩٩٧، ص٣٨٦، أيضاً سليم، أحمد أمين، ب . ت، ص ١٤٩)، فمن غير المنطقي أن يتجاوزا أرمينيا ويذهبوا عنها ويستقروا في الأجزاء الجنوبية التي كانت لا تزال في تلك الفترة وحشية الطابع، وتحتاج إلى جهد كبير ووقت كثير حتى يستطيعوا استصلاحها والانتفاع بها (سليم، أحمد أمين، ب – ت، ص ١٤٩)، كذلك كان لأصل السومريين الجبلي وقضية أسلاف السومريين المقترحة بمرتفعات إيران ومالها من علاقة ببعض الأرباب السومريين، بدنيا المرتفعات، ثم ما تم تناوله وطرحه من خلال أسطورتان لملك سومري يدعى "انمركار" والذي اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثاني ملوك الأسرة الأولى في مدينة "أوروك" بعد الطوفان، (عبد اللطيف، محمد، ١٩٧٧، ص ١٦٤، ١٩٦)، وهناك فريق أخر من الباحثين يرى بأن السومريين ربما جاءوا من حوض نهر السند، وقد اعتمدوا في وجهة نظرهم هذه على الأدلة المادية، والتي تشير إلى وجود اتصالات ثقافية وتجارية بين جنوب وادي الرافدين وحوض نهر السند، ومن تلك الأدلة العثور على أختام تحمل تأثيرات سومرية واضحة في كلاً من طبقات تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد (٣٠٠٠ – ٢٧٠٠ ق .م)، كما تم العثور أيضاً في بعض المدن السومرية مثل أور، وكيش، وتل أسمر، على أختام تحمل صفات الأختام المعروفة في وادي السند وتتطابق معها إلى حد كبير من حيث الشكل وكذلك صور الحيوانات التي تم العثور عليها مثل الثور ذو السنام فوق الرقبة، وكذلك التمساح والفيل وحيوان الكركين (حضارة العراق، ج ٤، ١٩٨٥، ص ٢٨١ – ٢٨٤)، ويرى صموئيل كريمر عالم السومريات، بأن السومريين بدوا مما وراء القوقاز أو من وراء بحر قزوين، ثم اندفعوا إلى مناطق غرب إيران، وذلك تزامناً مع حضارة العبيد وأوائل حضارة الوركاء، وما لبثوا أن اكتسبوا من حضارة بلاد النهرين والتي امتدت منها حسب وجهة نظره عبر حدود عيلام "ايران الحالية" واستطاعوا أن يندفعوا إلى جنوب العراق وسيطروا على أراضيه منذ الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد (كريمر، صموئيل، ١٩٥٧، ص١٥٦، أيضاً حتى، فيليب، ١٩٦٥، ص٣٥)، وهناك من يرجح أن يكون الموطن الأصلي للسومريين هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية والواقعة جنوب مدينة "ديالي" باعتبار أن هذه المنطقة تعتبر متفوقة حضارياً، بالإضافة إلى أنها ذات طبيعة جبلية تتوفر فيها الأحجار التي تجعل من سكانها يتميزون

بصفة الرجال المحاربين الأقوياء، وقد يؤكد هذا الموطن الأصلي أيضاً كثرة ما قدمته مرحلة ما قبل الكتابة من صناعة معدنية، خاصة النحاس الذي من المحتمل أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي قدم منها السومريين إلى جنوب بلاد الرافدين (سليم، أحمد أمين، ب – ت، ص١٥١).

وهناك رأي أخر يعتمد على الدليل الأنثروبولوجي ويتمثل في مقارنة ما وجد في المقابر في موطن السومريين من جماجم ومحاولة مقارنتها ببعضها، فعلى سبيل المثال تلك الجماجم التي وجدت في موقع العبيد كلها كانت من جنس البحر الأبيض المتوسط وهي ما أطلق عليها "الرؤوس الطويلة"، وفي الوقت نفسه فقد حوت مقابر ما يعرف بمنطقة "كيش" خليطاً من الجماجم ذات الرؤوس الطويلة والعريضة "الطورانية" ومع التوسع في عملية التنقيب والكشف أصبحت الجماجم الطورانية تتناقص وبشكل سريع إلى أن أصبحت الرؤوس الطويلة هي الغالبة وبكثرة، وهذا الشيء أعطى لأصحاب هذا الرأي الفرصة بأن يفترضوا أن السومريين هم أصحاب الرؤوس العريضة، وأن الجماعات المتكلمة باللغات السامية طغت عليهم، وأنهم لابد وأن يكونوا هم أصحاب الرؤوس الطويلة (الاحمد، سامي سعيد، ١٩٧٨، ص ٢٢٦، ٢٢٧، أيضاً صالح، عبد العزيز، ١٩٧٦، ص ٣٨٨).

وتجدر الإشارة إلى أن الجماجم المكتشفة ذات آنوف غير بارزة وفك أسفل كامل النمو بزاوية فك حادة، وأحياناً يفتح نحو الخارج، وينقصه العرض، وبينت لنا جماجم العبيد كون الجماجم السومرية ضيقة وطويلة الرأس ورؤوسها كبيرة ولها أنوف عريضة وطويلة (صالح، عبد العزيز، ١٩٧٦، ص ٣٨٨، أيضاً الاحمد، سامي سعيد، ١٩٧٨، ص٢٢٧).

ويرى فوزي رشيد عالم الآثار العراقي أن السومريين كانوا من سكان الأقسام الشمالية من بلاد الرافدين، وتوافدوا على الجهة الجنوبية لوادي الرافدين في شكل جماعات مهاجرة تبحث عن أماكن للعيش فيها، ويرى ايضا بأن ما دفعهم لهذه الهجرة هو تزايد أعدادهم، وأن الأرض أصبحت تضيق على استيعابهم جميعاً خاصة الزراعية منها (رشيد، فوزي، ١٩٧٣، ص ٧٣،٧٤، أيضاً باقر، طه، ١٩٧٣، ص٦٢، ٦٣).

ومن خلال ما تقدم من عرض لعدة آراء طرحت للوصول إلى معرفة أصل السومريين نستطيع أن نختم بأن البحث في معرفة أصل السومريين وموطنهم الذي هاجروا منه إلى الجنوب العراقي القديم والطرق التي سلكوها، وهل هم من السكان الأصليين أم أنهم وفدوا من خارج البلد، كل هذه

التساؤلات يمكن أن تتضح في نهاية المطاف وفي نهاية البحث في هذه المسألة بأنها كمن يلاحق سراب، أو كمن يعتقد بأنه قد قبض على الماء بيديه ليتضح له بعد فتحها بأنه لم يقبض على شيء.

المطلب الثاني السومريين مدنهم ونظام حكمهم وتقسيم عصرهم

لقد شهدت بلاد ما بين النهرين أو بلاد وادي الرافدين في العصر التاريخي ثلاث حضارات كان لها الأثر الكبير في تشكل تاريخ المنطقة بأسرها وهذه الحضارات تمثلت في الحضارات السومرية والبابلية والأشورية، حيث كانت الحضارة الأولى غير سامية أي بمعنى أنها تنتمي لشعب غير سامي الأصل، بينما كانت الحضارتان الثانية والثالثة من الحضارات السامية، ونحن هنا ومن خلال هذا البحث لا يهمنا من هذه الحضارات إلا الحضارة الأولى ألا وهي حضارة السومريين باعتبارها هي موضوع البحث ولذلك ولكي نتناول هذه الحضارة بشيء من التفصيل، يلزمنا بأن نتتبع المجرى المشترك لنهري دجلة والفرات من مصبهما في الخليج العربي ، إلى أن ينفصلا عن بعضهما، ومن ثم نتتبع مجرى الفرات وحده باتجاه الغرب إلى أن نصل بالقرب من بابل، هنا وعند هذه المنطقة نكون قد أحطنا بالمنطقة التي عاش فيها السومريين وشيدوا مدنهم العظيمة (إريدو – أور – أوروك – لارسا – لكش ونيبور) (علي، فاضل عب الواحد، ١٩٨٩، ص٣٨، ٣٩)؛ ويعتبر السومريين أول من سكن بلاد الرافدين بعد الطوفان، وقد تم ذكر الأرض التي سكنوها وعمروها في الكتابات السومرية القديمة باسم (كنجي)، وفي الكتابات العربية القديمة باسم (سومر)، ولم يعرف أصلهم إلى حد الأن بشكل قاطع، ويرجح بعض المهتمين والمؤرخين بأن السومريين كانوا قد أتوا من أواسط آسيا والمناطق القريبة من شمال بحر قزوين (أبو خليل، شوقي، ١٩٨٧، ص٧٩)، وكان أشهر حكام السومريين أوروكاجيا، ولوجال زاكيزي الذي ثار عليه سرجون الاكادي وأسس الدولة الاكادية عام ٢٤٠٠ ق.م (أبو خليل، شوقي، ١٩٨٧، ص٧٩)، وتشير الأدلة الأثرية إلى أن أقدم الحضارات والتي شكلت نقلة نوعية وحضارية على مجمل الحياة البشرية والمسيرة الإنسانية والتي تم الكشف عنها في أرض الرافدين هي الحضارة السومرية ولعله بالإمكان إرجاع ذلك إلى ما شهدته المنطقة في تلك الفترة من هدوء نسبي في جنوب العراق أي حوالي بداية عصر حضارة العبيد (٦٥٠٠ ق.م) والتي استمرت حتى حوالي عام (٣٨٠٠ ق.م) .، وتعتبر

حضارة العبيد من أقدم الحضارات التي شاع فيها استخدام الكتابة المسمارية ولو بشكل يسير (عبد الحليم، نبيلة محمد، ١٩٨٣، ص٤٢).

لقد قام الحكم في بلاد سومر على أساس نظام المدينة المستقلة بحيث كانت كل مدينة أشبه ما تكون بالدولة، لها نظامها الخاص، وجيشها الخاص، وقانونها الخاص، وهو ما أصطلح بتسميته بعصر مدن الدويلات، وكان لكل مدينة معبداً خاصاً لإلهها، ويعتبر إله المدينة هو الحاكم الأصلي، باعتبار أن الملك نائب عنه ويحكم بتفويض من الآلة، وكان يسمى "إيشاكو" أي وكيل الإله (الطعان، عبد الرضا، ١٩٨٦،ص ٢٣، أيضاً صالح، عبد العزيز، ١٩٩٧، ص ٤٥٤).

وقد ظلت المدن السومرية تمارس حياتها بشكل منفصل تماماً عن المدن الأخرى كما ذكرنا آنفاً، واستمر هذا الوضع إلى حوالي عام ١٨٠٠ ق .م ، عندما أصبحت التجارة أمراً متعارف عليه بين المدن، وهو ما جعل هذه المدن تخرج من عزلتها، وأصبحت هذه المدن بفضل الاحتكاك التجاري والتفاعل الحضاري فيما بينها والانصهار المجتمعي تجتمع فيما بينها بفعل عدة مصالح مشتركة كان في مقدمتها المصالح الاقتصادية، ومن هنا أصبح من الطبيعي جداً وكنتاج لهذا التفاعل والتعامل والتبادل التجاري أن تنصهر تلك المدن المتناثرة في بوثقه واحدة تحقق أهداف الجميع، فكانت الإمبراطورية السومرية والتي استطاعت أن تجمع كل تلك المدن في وحدة سياسية واقتصادية تكون فيه تحت حكم ملك واحد وإله واحد لتلك المدن وله كل النفوذ وكل السلطة على تلك المدن (صالح عبد العزيز، ١٩٩٧، ص ٤٥٤).

وعلى الرغم من أن تاريخ السومريين غير واضح في معظمه، إلا أن ما وصلنا من نصوص تاريخية وما توصلت إليه الكشوفات والبحوث الأثرية حول تاريخ السومريين يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعيشون في فترة عصر فجر السلالات في عدد من المدن المستقلة، وكانت كل مدينة من تلك المدن تسعى دائماً أن تفرض سيادتها على باقي المدن وتكون لها الغلبة والزعامة (عصفور، محمد أبو المحاسن، ١٩٨٤، ص٣٤٦).

والجذير بالذكر أن المدن السومرية كانت تتناوب على حكم المنطقة الجنوبية بحيث إذا ضعفت أسرة من الأسرات في مدينة ما، ظهرت غيرها في مدينة أخرى واحتلت مكانها واستلمت زمام القيادة، وبناء على ذلك كان وباستمرار في الجنوب العراقي القديم حكومة قوية متواجدة وبقوة وتعتبر هي المتنفذ والحاكم الذي من خلاله يتم الحفاظ على توحد المدن السومرية القديمة، ولعل

الدليل على ذلك يتضح جلياً فيما شهدته المدن السومرية من صراع واقتتال فيما بينها وبين المدن الشمالية مثل كيش واكشاك وماري، حيث كان حكام اكشاك في ذلك العصر أصحاب السلطة، ولكنهم فقدوا سلطانهم حينما هزمهم (أي اناتم) ملك كيش، فانتقلت السلطة إلى أسرة (كيش) وكان أخر ملوك أسرة كيش الثانية وهو الملك "انبي عشتار Enbi – Ishtar) الذي استطاع أن يضع يده على مدينته وما جاورها، وفي الجنوب استطاع "أي أناتم" أن يقضي على أور ويعين أحد أفرادها المدعو "ان شاكوش انا" ملكاً على أوروك، وهي مدينة مجاورة لمدينة أور (زايد، عبد الحميد، ١٩٦٦، ص٤٠).

ويمكن تقسيم العصر السومري (٢٩٠٠ – ٢٣٣٤ ق .م) إلى ثلاثة مراحل:

أ-**فترة الأسرات السومرية الأولى (٢٩٠٠ – ٢٦١٣ ق.م).**: وشهدت هذه الفترة ظهور المدن السومرية الأولى مثل أور ولكش واورك ، وفي هذه المرحلة كانت هذه المدن تتصارع من أجل السيطرة والهيمنة على المنطقة وعلى مصادر المياه فيما بينها (موركات، أنطون، ١٩٥٠، ص٣١،٣٢).

ب- **فترة الأسرات السومرية الثانية (٢٦١٣ – ٢٥٠٠ ق .م):** ووفي هذه الفترة شهدت المنطقة تقدماً ملموساً وتطوراً في التجارة والزراعة وبعض الفنون، بالإضافة إلى بروز عنصر أخر ذو أهمية كبيرة ألا وهو زيادة استخدام الكتابة المسمارية في المعاملات اليومية (الاحمد، سامي سعيد، ١٩٩٠، ص ٦،٧).

ج- **أما الفترة أو المرحلة الثالثة من مراحل العصر السومري فهي فترة الأسرات السومرية الثالثة (٢٥٠٠ – ٢٣٣٤ ق.م)** : وهي الفترة التي أصبحت فيها تلك المدن الدويلات السومرية تتقاتل فيما بينها وهو الشيء الذي عمل على إضعافها وبالتالي أصبحت هدفاً للقوى الخارجية ولقمة صائغة للغزو الخارجي، وهو ما حدث بالفعل (مورتكات، انطون، ١٩٥٠، ص ٣٤،٣٥).

وبخصوص الاقتتال بين المدن السومرية، فقد صورت لنا المصادر السومرية ونقلت لنا أخبار ذلك التطاحن والاقتتال بين مدينتي لجش "تلو" ومدينة أوما "تل جوخه" حيث كانت تلك المدينتين تقع على أحد فروع الفرات الداخلية، وكان الصراع بينهما بسبب رغبة كل مدينة في السيطرة على مناطق المياه والاستحواذ على المناطق الصالحة للزراعة، واستمرت الصراعات بينهم إلى أن تدخل أحد حكام مدينة كيش الأوائل ويدعى مسيليم أو ميساليم، والذي استغل علاقته الطيبة مع حاكم

مدينة لجش، حيث قام بتقديم بعض الهدايا إلى الإله ننجرسو إله المدينة فاستطاع من خلال ذلك أن يحصل على موافقة بإنهاء الصراع بين المدينتين وذلك بعد الحصول على موافقة حاكم المدينة "لوجال تاج نانشة" بعد أن أقنعه بأن الإله طلب منه التدخل ووقف الحرب بين المدينتين وتعيين الحدود بينهما (هنري س عبودي، ١٩٩١، ص ٥١٣)، ويقدم الإثبات السومري قوائم باسماء الملوك الذين حكموا في الدويلات السومرية وانتقال الزعامة من مدينة إلى أخرى، وميز هذا الاثبات السومري بين ملوك كانوا قد حكموا قبل الطوفان وبين ممن حكموا بعد الطوفان، وأن خمسة ملوك في خمسة مدن حكموا قبل الطوفان وهذه المدن هي أريدور أبو شهرين في أقصى الجنوب" التي حكمها ملكان تم باد تبيرا "تل صفر الحالي" وحكمها ثلاثة ملوك، ثم مدينة لرك أو أرك التي حكمها حاكم واحد، ثم سبار "أبو حبه قرب اليوسفية"، حكمها ملك واحد، وأخيراً شروباك "فارة قرب السماوة" وحكمها "توتو" ثم خلفه "زيو سودرا" بطل الطوفان وهو المعروف باسم "اتنا بشتم" في النص البابلي لقصة الطوفان (الاحمد، سامي سعيد، ١٩٩٠، ص٧،٨، أيضاً عبد الحليم، نبيلة محمد، ١٩٨٣، ص ٤٧-٥٥).

الخاتمة:

وبعد هذا العرض للعديد من الآراء التي قيلت في أصل السومريين والجهة التي قدموا منها، وهل هم من السكان الأصليين لبلاد الرافدين أم عبارة عن موجات بشرية قدمت للمنطقة من أجل البحث على حياة أفضل، وبعد مقارنات عديدة منها أثرية وحضارية، ومنها أنثروبولوجي ،وكذلك الحديث عن مدنهم ونظام حكمهم وتقسيم عصرهم، نستطيع القول بأن المسألة السومرية تعتبر من القضايا التي لم تستطيع حلها الدراسات اللغوية وكذلك الأثرية، وأن كل ما قيل حولها لا يتعدى أن يكون مجرد افتراضات وتخمينات لا يمكن الاستناد عليها كونها تقدم الرؤية الصحيحة والرأي السديد في التعرف على أصل السومريين وموطنهم الأصلي.

ومن خلال المصادر المتاحة حول موضوع السومريين، فإنه يصعب كشف الغموض الذي يحيط بأصل السومريين أو حتى بتاريخ قدومهم إلى جنوب بلاد الرافدين، ولعل الشيء الوحيد الذي بإمكاننا أن نبينه، هو أن هؤلاء السومريين كانوا قد سكنوا إلى جانب جماعات أخرى وفدت من شبه جزيرة العرب وهم الساميون، وتمكنوا من الاندماج مع بعضهم البعض، واستطاعوا أن يؤسسوا المدن السومرية الأولى.

وعلى كل حال فمهما كان من أمر هذه الآراء التي طرحت، والتي تحتاج إلى قرائن وأدلة جديدة تدعمها، فإننا وبانتظار ما ستسفر عنه التنقيبات والدراسات المعنية بالمسألة السومرية، لا نستطيع إلا أن نقول شيء واحد لا يقبل للشك، ألا وهو أن السومريين قد استفادوا في أوائل العصور التاريخية من الحضارات التي سبقتهم وذلك في بواكير العصر الكتابي، ثم طوروها إلى ما يتماشى مع احتياجات عصرهم، ولعل من أهم ما ربط بينهم وبين أصحاب تلك الحضارات وتميز بروابط التطوير، هي علامات الكتابة وكذلك في البناء باللبن، وأساليب النقوش.

ونظراً لدورهم القيادي في تلك الفترة، فإننا نستطيع القول بأن السومريين ابتكروا وأضافوا الكثير إلى حضارة بلاد الرافدين "العراق القديم" ولم يقتصر هذا الابتكار وهذه الإضافة على مجال واحد بل شمل العديد من الجوانب سواء كان في مجال الكتابة بالخط المسماري، أو في مجال الفنون، أو في نظم الحكم أو في المعتقدات الدينية، وكذلك في مجالات تطوير الري والزراعة، بالإضافة إلى ما أسهموا به في مجال الآدب السومري، والتي كانت لها بصماتها المميزة واسهامات الجبارة في تطور وتقدم حضارات الشرق الأدنى القديم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. صموئيل كريمر، السومريون، تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣م.

٢. صموئيل كريم، من الواح سومر، ترجمة طه باقر، القاهرة، ١٩٥٧م.

٣. هنري س . عبودي، معجم الحضارات السامية، الطبعة الثانية، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩١م.

ثانياً: المراجع العربية

١. أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ب . ت.

٣. حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الطبعة الثانية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.

٣. حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، الأجزاء من ١-٤، بغداد، ١٩٨٥م.

٤. رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمالي أفريقيا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧م.

٥. سامي سعيد الأحمد، السومريون، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦_سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، الجزء الأول، العراق في العصر الاكدي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٨م.

٧. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا،. ١٩٨٧م

٨_عامر سليمان، القانون في العراق القديم، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ب . ن، بغداد، ١٩٨٧م.

٩. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٠. عبدالرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦م.

١١. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٢. عبد الغني عمرو الرويمض، تاريخ النظم القانونية، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٥م.

١٣. عبد اللطيف محمد، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١م.

١٤. فاضل عبد الواحد علي، العراق في التاريخ، السومريون والأكاديون، بغداد، ١٩٨٣م.

١٥. فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوارة، سبأ للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

١٦. فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، مطبعة العماني للنشر، بغداد، ١٩٧٣م.

١٧. طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، منشورات دار البيان، مطبعة الحداثة، بغداد، ١٩٧٣م.

١٨. محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

١٩. محمود شاكر، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨م.

٢٠. نبيلة محمد عبد العليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٢م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

١_أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب، توفيق سليمان وأخرون، بغداد، ١٩٥٠م.

٢_.السيرجون أ. هامرتن، تاريخ العالم، ترجمة، إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ب . ت.

٣. فيليب جتي، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

رابعا: الدوريات:

١. حسين محمد سبيتي، السومريون : أصلهم وتوسعهم، مجلة الباحث، العدد الأول، السنة الثامنة، أذار، ١٩٨٦م.